المحور الثاني: التطور التاريخي للعلاقات الدبلوماسية

تطور العلاقات الدولية يتطور المجتمع الدولي الذي يبدوا قديم فعلاقات التواصل بين الحضارات منذ ما قبل التاريخ تبدوا غير متواصلة حيث أن التباعد الجغرافي بين الدول كان كبير ومن هنا فالعلاقات الدولية والدبلوماسية لم تكن بنفس الصيغة الحديثة التي عليها العلاقات الدولية والقانون الدولي.

بينما يُظهر تاريخ العلاقات الدبلوماسية قدرًا كبيرًا من التباين، فإن الوظائف الأساسية للدبلوماسية وآليتها لم تتغير، بالفعل فقد نجت السمات المركزية للمؤسسات الدبلوماسية من التحولات الأساسية في نظام وهيكل السياسة الدولية مثل تصاعد النزعة القومية والديمقراطية ودمج الدول غير الأوروبية في النظام الدولي. في هذا المسار كشفت كتابات المنظرين الدبلوماسيين مثل ريشيليو، كاليريس، ويكفورت ونيكلسون وآخرين أنه في الواقع لم يتغير شيء على مدى القرون العديدة الماضية فيما يتعلق بالوظائف الأساسية للدبلوماسية المتمثلة في الحفاظ على قنوات الاتصال ، وسلوك التفاوض وتوفير الاستخبارات السياسية والتلاعب السياسي وراء الكواليس، حيث قبل عقدين من الزمن كتب هيدلي بول في 1977 أن الاستعداد الملحوظ للدول من جميع المناطق والثقافات ومراحل التطور التي يجب اتباعها في كثير من الأحيان لإجراءات دبلوماسية غريبة وعتيقة التي نشأت في أوروبا في عصر آخر،هي اليوم واحدة من المؤشرات القليلة المرئية للأهمية الدائمة للمؤسسات الدبلوماسية،فبسبب استقرار المؤسسات الدبلوماسية يشار إلى النظام الدبلوماسي أحيانًا باسم المؤسسة الرئيسية للعلاقات الدولية.

1-دبلوماسية العالم القديم:الصين و الهند

تعود السجلات الأولى للدبلوماسية الصينية* والهندية** إلى الألفية الأولى قبل الميلاد،بحلول القرن الثامن قبل الميلاد كان لدى الصينيين روابط ومهمات ونظام للخطاب موجه بين العديد من الدول المتحاربة،بما في ذلك المبعوثون المقيمون الذين خدموا كرهائن للسلوك الجيد لأولئك الذين أرسلوهم. إن تطور هذا التقليد الذي أكد على الفضائل العملية للسلوك الأخلاقي في العلاقات بين الدول (لا شك في رد فعل على اللاأخلاقية الفعلية) موثق جيدًا في الكلاسيكيات الصينية،ولعل أفضل ما يميز جوهرها هو نصيحة Zhuangzi للدبلوماسيين في بداية القرن الثالث قبل الميلاد،نصحهم بأن هذا التقليد المتمثل في التعامل الدبلوماسي المتساوي بين الدول المتنازعة داخل الصين قد انتهى بتوحيد البلاد تحت إمبراطور تشين في عام 221 قبل الميلاد وتوطيد الوحدة تحت حكم أسرة هان في عام 206 قبل الميلاد.

---

*للتوسع أكثر في الموضوع يمكن الإطلاع على الكتاب التالي:

- David Curtis Wright,**From War To Diplomatic Parity In Eleventh-Century China: Sung's Foreign Relations with Kitan Liao,**2005.

**للتوسع أكثر في الموضوع يمكن الإطلاع على المقالة التالية:

-D.B Mathure,Some Reflactions On Ancient Indian Diplomacy.**The Indian Journal of Political Science**, Vol. 23, No. 1/4 (January—December, 1962),pp. 398-405

سادت حجج الفلاسفة الصينيين الأوائل مثل مينسيوس لقد بأن أفضل طريقة لدولة ما لممارسة نفوذها في الخارج هي تطوير مجتمع أخلاقي جدير بالتقليد من خلال الإعجاب بالأجانب والانتظار بثقة للإلتحاق للصين لتعلم مثل هذه التقاليد الأخلاقية،بمجرد أن عززت كل سلالة صينية لاحقة حكمها في الداخل وأقامت حدودها مع العالم غير الصيني،اقتصرت علاقاتها الخارجية مع العالم الخارجي عادةً على الدفاع عن حدود الصين ضد الهجمات أو التدخلات الأجنبية،واستقبال مبعوثين من الجيران،انتظر القادة والدبلوماسيون الصينيون داخل الحصون لتقديم الأجانب احترامهم بدلاً من المغامرة في الخارج بنظامهم السياسي و ممتلكاتهم الإمبراطورية. استمر هذا النظام حتى مجيئ الاستعمار الأوروبي إلى آسيا بتقديمه المفاهيم الأوروبية للسيادة ،مجالات النفوذ ، والمعايير والتقاليد والممارسات الدبلوماسية الأخرى.

بالنسبة للهند القديمة كانت موطنًا لتقليد دبلوماسي متطور ولكنه مختلف تمامًا،تم تنظيم هذا التقليد ووصفه في Artha–shastra أحد أقدم الكتب في الأدب السنسكريتي العلماني بواسطة Kautilya ، وهو رجل دولة ذكي وعديم السمعة ساعد شاب Chandragupta في الإطاحة بالحكم المقدوني في شمال الهند وتأسيس موريان في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

حيث نظام الدولة الواقعي الديكتاتوري الذي تم تدوينه في Artha–Shastra على أن العلاقات الخارجية يتم تحديدها من خلال المصلحة الذاتية بدلاً من الاعتبارات الأخلاقية،وقد صنف سلطة الدولة فيما يتعلق بخمسة عوامل وشدد على التجسس والمناورة الدبلوماسية والخلاف من قبل 12 فئة من الدول داخل مصفوفة جيوسياسية معقدة،كما طرح أربع وسائل لفن الحكم المصالحة ،الإغواء،التخريب،والإكراه،وستة أشكال من سياسة الدولة السلام ،الحرب،عدم الانحياز،التحالفات،إظهار القوة و التعامل المزدوج لتنفيذ السياسات المستمدة من هذه الأشكال الاستراتيجية،قامت الهند القديمة بإيفاد ثلاث فئات من الدبلوماسيين المفوضون والمبعوثون المكلفون بمهمة واحدة و المبعوثون الملكيون الذي يعتبر نوع من الوكيل القنصلي (على غرار الوكيل اليوناني) الذي كان مكلفًا بإدارة العلاقات والمعاملات التجارية ؛ ونوعين من الجواسيس المكلفون بجمع المعلومات الاستخباراتية والمكلفون بالتخريب وأشكال أخرى من العمل السري .

نظمت القواعد التفصيلية الحصانات والامتيازات الدبلوماسية وعمل البعثات الدبلوماسية وإنهائها،واختيار المبعوثين وواجباتهم،هكذا يصف كوتيليا واجبات المبعوث بأنها "إرسال المعلومات إلى ملكه وضمان الحفاظ على شروط المعاهدة،إعلاء شرف ملكه،اكتساب الحلفاء،إثارة الفتنة بين أصدقاء عدوه،نقل عملاء وقوات سرية في أراضي العدو،إخضاع أقارب العدو إلى جانب ملكه،الحصول على الأحجار الكريمة وغيرها من المواد القيمة لملكه،والتحقق من المعلومات السرية وإظهار الشجاعة في تحرير الرهائن المحتجزين من قبل العدو.

كان للهند القليل جدًا من الارتباط السياسي بشؤون المناطق الأخرى من العالم حتى غزا الإسكندر الأكبر مناطقها الشمالية عام 326 قبل الميلاد،حيث أدى التأسيس اللاحق لإمبراطورية موريان الأصلية إلى حقبة جديدة في التاريخ الدبلوماسي الهندي تميزت بجهود لتوسيع المذاهب الدينية الهندية (أي البوذية)

والتأثير السياسي خارج جنوب آسيا،كان الإمبراطور المورياني أشوكا نشطًا بشكل خاص حيث تلقى العديد من المبعوثين من الممالك المقدونية التي يحكمها وأرسل العديد من البعثات التي يقودها براهمان إلى غرب ووسط وجنوب شرق آسيا،استمرت هذه الاتصالات لعدة قرون حتى صعود ممالك راجبوت (القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد) عزل شمال الهند مرة أخرى عن بقية العالم،خارج سلالة تشولا وممالك درافيدية الأخرى في جنوب الهند،والتي استمرت في التبادلات الدبلوماسية والثقافية مع جنوب شرق آسيا والصين وحافظت على نص وذكريات Artha-shastra ،فيما بعد تم نسيان أسلوب الهند المميز في التفكير الدبلوماسي والتقاليد المبكرة واستبدالها بتلك من الفاتحين المسلمين والبريطانيين.

2-أول ممارسة دبلوماسية موثقة:دبلوماسية العمارنة* في الشرق الأدنى القديم

في حين أن معايير وممارسات الدبلوماسية الحديثة قد تشكلت بين فترة عصر النهضة في إيطاليا (في القرن الخامس عشر) وإنشاء نظام ويستفاليا(في القرن السابع عشر) فإن الشكل الأولي لما نعرفه اليوم كدبلوماسية كان موجودًا منذ ذلك الحين حيث ظهرت البنى الاجتماعية والتجمعات السياسية الأولى وتفاعلت مع بعضها البعض. كما يشير نيكولسون 1963 إلى أن أصول الدبلوماسية مدفونة في الظلام الذي يسبق ما نسميه فجر التاريخ ، فالأدلة المتاحة تشير إلى أن أول نشاط دبلوماسي مسجل حدث منذ حوالي 3400 عام بين الأسرة الثامنة عشرة في مصر وقوى عظمى أخرى في الشرق الأدنى القديم،حيث تم اكتشاف سلسلة من الطاولات الفخارية المسمارية والتي تسمى مجتمعة "رسائل العمارنة"،لأول مرة من قبل مزارع محلي عام 1887 في تل العمارنة،بقايا قصر الملك أمنحتب الرابع الواقع في عاصمة الأسرة الحاكمة للمملكة المصرية الحديثة القديمة،يحتوي الأرشيف على أكثر من 350 حرفًا و حوالي 50 من الرسائل عبارة عن مراسلات دبلوماسية بين قوة الأسرة المصرية والقوى العظمى المجاورة في الشرق الأدنى القديم لفترة ثلاثين عامًا تبدأ من سنوات الحكم الأخيرة لأمنحتب الثالث إلى أول عام ملكي لتوت عنخ آمون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد،ناقشت المراسلات مجموعة متنوعة من القضايا مثل الزواج بين الأسر،القضايا التجارية ،أسئلة التحالف والمشاكل القانونية،تشير هذه الوثائق الدبلوماسية على الجداول المسمارية إلى أن المفاوضات الدبلوماسية كانت جارية منذ حوالي 3400 عام بين المملكة المصرية والمملكة الحيثية حيث كان هناك تضارب حاد في المصالح وكانا يتنافسان على السيطرة على

*تل العمارنة أو العمارنة وهو الاسم الحالي للموقع الأثري المصري العائد لمدينة الفرعون أخناتون (توت عنخ آمون) حاكم مصر وعاصمة بلاده في الفترة الممتدة بين 1353- 1336 قبل الميلاد، ويعود اسم تل العمارنة نسبةً لقبيلة بني عمران التي كانت مستقرةً في المنطقة.وكلمة تل من منظور علماء التاريخ تُشير إلى هضبةٍ صغيرةٍ تشكلت نتيجةً لسكن الإنسان فيها باستمرارٍ على مرِّ السنين فكل جيلٍ جديدٍ يُنشئ حضارته على أنقاض الجيل السابق مما يفسر تشكل هذا التل، لكن ما يميزها عن بقية المواقع المكتشفة عبر التاريخ أنها لم تنهار نتيجةً لغزوٍ خارجيٍّ أو كارثةٍ طبيعيةٍ بل دمرها الفرعون حور محب بعد أن هجرها أهلها في محاولةٍ منه لمحو اسم الفرعون أخناتون وكل ما يتعلق به من التاريخ، وخلال عدة قرونٍ لاحقةٍ نُقلت أنقاض المدينة إلى منطقةٍ سهليةٍ حيث أعاد بناءها سكان تلك المنطقة مع مرور الوقت.

منطقة الشرق الأدنى،انخرطت الأسرة التاسعة عشر في مصر والمملكة الحثية في الأناضول في نزاع مسلح متقطع لمدة خمسين عامًا تقريبًا،حيث بلغ التنافس العسكري ذروته في الاشتباك المباشر بين مملكتين متنافستين عام 1274 قبل الميلاد في قادش،وهي مدينة تقع على الحدود بين المملكتين،وقعت معركة قادش عندما حاول الفرعون رمسيس الثاني السيطرة على الأراضي الاستعمارية لسوريا الحديثة من أجل إزالة النفوذ العسكري للحيثيين،اشتبك جيشه الإمبراطوري مع الملك الحيثي الموطلي،حيث لم يتحقق أي نصر حاسم من قبل أي من الجانبين،هذه واحدة من أفضل المعارك الموثقة في الشرق الأدنى القديم على الرغم من اختلاف الروايات التاريخية حول أي جانب كان له اليد العليا في هذه المعركة،أبرم رمسيس الثاني والموطلي اتفاقية سلام بعد ذلك اتفقا فيها على تبادل اللاجئين السياسيين وطالبي اللجوء،المساعدة العسكرية المتبادلة،الحرمة الإقليمية المتبادلة ،والزواج بين الأسر لابنة الموطلي ورمسيس الثاني.

يقال إن هذه المعاهدة هي أقدم معاهدة مسجلة في التاريخ، ما تدل عليه رسائل العمارنة هو أن ما نسميه اليوم البعثات الدبلوماسية تم نشره من قبل القادة السياسيين لإجراء مفاوضات دبلوماسية منذ بداية التاريخ المسجل للعلاقات الدولية. كما لاحظKeens-Soper and Otte Berridge فإن ممارسة إرسال العملاء إلى الخارج لأغراض محددة أحيانًا لفترات طويلة قديمة قدم التجارة والشك والتنافس والحرب، حيث تعود إلى آلاف السنين لبلاد ما بين النهرين القديمة،ومع ذلك فإن حقيقة إبرام هذه المعاهدة بعد حوالي ستة عشر عامًا من المعركة تشير إلى صعوبة التوصل إلى اتفاق،قد يشير أيضًا إلى أن القوى العظمى في الشرق الأدنى القديم واجهت أيضًا صعوبة كبيرة في الاتصالات التي واجهتها البعثات الدبلوماسية الأخيرة في غياب الطائرات أو الاتصالات،لا يستغرق الأمر وقتًا لسفر المبعوثين الدبلوماسيين فحسب،ولكن أيضًا تبادل البعثات كان سيشمل قدرًا كبيرًا من عدم اليقين بشأن الاستقبال الآمن للرسائل الدبلوماسية،تؤدي هذه الصعوبة والمخاطر الكامنة في التبادل الدبلوماسي بعد عدة قرون إلى إضفاء الطابع المؤسسي على الوكلاء الدبلوماسيين والسفارات بالإضافة إلى وضعهم الخاص مثل الحصانة الدبلوماسية. في هذا الصدد كتب هارولد نيكولسون في سنة 1963 أنه من البداية يجب أن يكون من الواضح أن مثل هذه المفاوضات سوف تتعثر بشدة إذا قُتل المبعوث من جانب واحد و موقف الجانب الآخر قبل أن يتاح له الوقت لإيصال رسالته،لذلك يجب أن تكون هذه الممارسة راسخة حتى في أبعد الأوقات بحيث يكون من الأفضل منح هؤلاء المفاوضين بعض الامتيازات والحصانات التي حُرمت من المحاربين،يبقى السؤال حول مدى صرامة النظام الدبلوماسي العمارنة،حيث يجادل بعض العلماء بأن رسائل العمارنة تشير إلى دليل على نظام دبلوماسي كامل،لاسيما أن قوانين الضيافة وفرت حصانة حماية للمبعوثين الدبلوماسيين في ذلك الوقت،مع ذلك فإن علماء آخرين يشككون في هذا الرأي ، بحجة أن دبلوماسية العمارنة كانت بدائية ولا تحمل نظامًا كاملًا بيريدج يجادل بأن رسائل العمارنة توفر الدليل على أن نظام تل العمارنة يفتقر إلى نظام المناعة المناسب،يعود ذلك أولا لقوانين الضيافة كونها كانت امتيازًا

حصريًا وليس حصانة دبلوماسية،ثانيًا تشير الرسائل أيضًا إلى فشل محاولة منح الحصانة لمبعوثي القوى المعادية،ثالثًا على الرغم من السماح للمبعوثين الدبلوماسيين بالعودة إلى ديارهم دون إذن مضيفيهم في النظام الحديث،لم يكن هذا هو الحال في دبلوماسية العمارنة،على وجه التحديد كانت السلالة المصرية سيئة السمعة لرفضها المتكرر لمثل هذه التصرفات خلال فترة العمارنة تؤكد دراسة حديثة عدم وجود حصانة دبلوماسية قانونية في الشرق الأدنى القديم ، على الرغم من وجود درجة معينة من حرمة المبعوثين الدبلوماسيين،ومع ذلك كان لدبلوماسية العمارنة نظام قائم بذاته وكان نظامها ملائمًا للاحتياجات الاستراتيجية التي يواجهها القادة السياسيون في ذلك الوقت.

3-بداية الدبلوماسية:اليونان القديمة أصل الدبلوماسية

يمكن إرجاع أصل آخر للدبلوماسية الحديثة إلى دول المدن اليونانية القديمة، كانت دعوة الدبلوماسية في عصر اليونان القديمة هي ممارسة دول المدن للاعتراف المتبادل بسلامة مرور مواطنيها خارج مجال نفوذهم،في عصر اليونان القديمة كانت وثائق السفر والجوازات وفواتير النقل تُعلق على لوحة معدنية وتُطوى وتُخيَّط معًا بطريقة غريبة،كانت تسمى هذه الوثيقة الموضوعة على لوحة معدنية "دبلومات"،أصبح هذا المصطلح مع مرور الوقت يعني أيضًا المستندات الرسمية،حيث يلاحظ نيكولسون أن "الدقة الدبلوماسية" والتي كانت تعني في البداية المهنة التي تفحص الوثائق الرسمية وتفسرها،جاءت للإشارة إلى ما نعرفه الآن باسم الدبلوماسية وإدارة الشؤون الحكومية.

-الممارسة الدبلوماسية في اليونان

انحرفت الممارسة الدبلوماسية في اليونان القديمة عن الأعراف والعادات السائدة في تاريخ الدبلوماسية،الانحراف الأول والأهم هو نظام الخطابة العامة،حيث كثيرا ما تبادلت دول المدن اليونانية الرسائل الشفوية بدلا من الوثائق المكتوبة مثل الطاولات الفخارية المسمارية المستخدمة في دبلوماسية العمارنة في الشرق الأدنى القديم،ويقال إن هذه الممارسة تعكس أعرافهم وتقاليدهم الديمقراطية،كما أكد الإغريق على أهمية الدعاية والشفافية في ممارسة الدبلوماسية،لذلك فإن المهمة الأساسية للمبعوثين الدبلوماسيين في دول المدن اليونانية لم تكن فقط لنقل الرسالة ولكن تقديم حجة شفوية نيابة عن مدينتهم إما أمام أسوار دولة مدينة أجنبية أو في نقاش عام في اجتماع عام لتبرير موقف المدينة الأصلية،لذلك لم يكن من المتوقع أن يحصلوا على التقارير بشأن دول المدن التي قاموا بزيارتها أو كتابة أي تقارير عن عودتهم؛بدلاً من ذلك كل ما كان متوقعًا منهم هو أن يقدموا خطابًا أمام السلطة في المدينة،هذه الممارسة للخطابة العامة في حرب اليونان القديمة كما لو كانت المهارة الرئيسية المتوقعة من سفير بريطاني في الولايات المتحدة هي تقديم أداء جيد أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس.

و لعل أشهر حلقة من المبعوثين في اليونان القديمة الذين دافعوا عن قضية مدينتهم قبل التجمعات الشعبية كان كتاب ثوسيديديس عن "حوار ميليان"* هذه هي القصة التي طالبت فيها أثينا المدينة المهيمنة ميلوس (مستعمرة إسبرطة) بالاستسلام،جادل المبعوثون الأثينيون بأن ميلوس يجب أن يخضع للطلب لأن ميلوس أضعف ليس فقط من أثينا التي تسيطر على البحر ولكن أيضًا أضعف من سكان الجزر الأخرى. رداً على حجة السياسة الواقعية دعا مفترسو ميليان،الذين يناشدون العدالة والأخلاق المتجسدة في قوانين الأمم،إلى أنه لا ينبغي إجبارهم على الاستسلام لمجرد ضعفهم،قدمت معلومات مهمة تتعلق بالممارسة الدبلوماسية في اليونان القديمة من خلال تشير كتاب ثيوسيديدس إلى أن البعثات الدبلوماسية مثل مبعوثي أثينا إلى ميلوس تم إرسالهم بشكل متكرر لدرجة أن تبادلهم للبعثات كان مؤسسيًا إلى حد ما .

الإنحراف الثاني عن النمط التاريخي المشترك هو الدور الذي لعبه بروكسينوس هو مواطن محلي عمل طوعًا كقنصل لدول مدينة أخرى ، بدلاً من بعثة دبلوماسية مرسلة من مدن أخرى،إذا نشأت الحاجة إلى الأعمال القنصلية في دولة–مدينة أجنبية ، فعندئذٍ مُنح ساكن في تلك المدينة المحلية لقب بروكسينوس من قبل الدولة المدينة التي تمثلها. تم تطوير هذا النظام لأن الإغريق لم يعتبروا الدبلوماسية وظيفة مميزة للحكومة وبالتالي افتقروا إلى المؤسسات الدبلوماسية الرسمية مثل المبعوثين المقيمين أو السفارات الدائمة.

الإنحراف الثالث هو حظر تبادل الهدايا من قبل المبعوثين الدبلوماسيين لمنع الرشوة أو ظهورها،حيث تم الإبلاغ عن حالتين لمبعوثين دبلوماسيين من أثينا إلى بلاد فارس يتلقون هدايا،في إحدى الحالات أثيرت المسألة في اجتماع عام عند عودتهم إلى ديارهم،وفي قضية أخرى اتهم المبعوث بقبول هدايا وحُكم عليه بالإعدام بعد عودته إلى الوطن حيث كان من المتوقع أن تلتزم البعثات الدبلوماسية بإجراءات وآداب معينة في المحكمة.

لم تكن الحصانة الدبلوماسية أو السلوك الآمن مضمونة في الدبلوماسية اليونانية القديمة،بينما في الشرق الأدنى القديم كانت الحصانة إن لم تكن الحصانة القانونية مضمونة إلى حد ما،العكس لم يكن هذا هو الحال مع اليونان القديمة،لم يكن السلوك الآمن تلقائيًا أو عامًا للمبعوثين الدبلوماسيين على الرغم من حقيقة أن المبعوثين كانوا يعتبرون عملاء للآلهة وكانوا مقدسين،بالإضافة إلى ذلك قد لا يتم ضمان المرور الآمن أثناء الحرب حيث تم إعدام المبعوثين الدبلوماسيين الأثينيين والإسبرطيين خلال الحرب البيلوبونيزية* أعدمت كل من أثينا واسبرطة مبعوثين أرسلهم داريوس الأول الفارسي.

---

* بالتحديد الحوار بين الأثينيين والميليين وهو نقاش تضمنه ثيوسيديدس في كتابه تاريخ الحرب البيلوبونيزية،يعتبر وصف للصراع الكارثي الذي دام لمدة 27 عامًا (431–404) التي تسمى الحرب البيلوبونيزية.

*كانت الحرب البيلوبونيزية(431–404 قبل الميلاد)حربًا يونانية قديمة قامت بين اتحاد ديليان بقيادة أثينا،والرابطة البيلوبونيزية بقيادة إسبرطة،قسّم المؤرخون الحرب تقليديًا إلى ثلاث مراحل في المرحلة الأولى حرب أرشيداميان شنت إسبرطة غزوات متكررة لأتيكا،بينما استغلت أثينا تفوقها البحري للإغارة على ساحل بيلوبونيز ومحاولة قمع الاضطرابات في إمبراطوريتها. انتهت فترة هذه الحرب في عام 421 قبل الميلاد بتوقيع صلح نيسياس، مع ذلك سرعان ما تم تقويضها

على الرغم من أن الممارسة الدبلوماسية اليونانية شهدت شذوذًا في جوانب مختلفة وقد لا تساهم في التقدم الخطي للتطور المؤسسي للدبلوماسية،إلا أن بعض السمات اليونانية يتم ملاحظتها بشكل شائع في الأنشطة الدبلوماسية عبر الزمان والمكان،على سبيل المثال في حين أن السلوك العام للدبلوماسية قد يشكل انحرافًا عن القاعدة التاريخية،يشير تقليد الخطابة العامة أيضًا إلى أن الاتصالات الدبلوماسية والتفاوض تم تنفيذهما بقوة العقل واللغة بدلاً من القوة المجردة في الشرق الأدنى القديم والدبلوماسية اليونانية القديمة هذا يخلق اختلافًا صارخًا مع ما نشهده مع الإمبراطورية الرومانية.

4-ركود الدبلوماسية:روما القديمة

تمثل روما القديمة أيضًا نقطة تحول في تاريخ الدبلوماسية من حيث أنها لم تساهم كثيرًا في تطوير المؤسسات والممارسات الدبلوماسية خلال تاريخه،بالنظر إلى حقيقة أن الرومان ساهموا كثيرًا في النظم الاجتماعية والسياسية و هذا يشمل القانون الروماني،المؤسسات المسيحية و الجيش المحترف ، وقد أثر كل واحد منهم بعمق على الحضارة الأوروبية.

لكن هذا لا يعني أن روما لم تستخدم الدبلوماسية على الإطلاق،بدلاً من ذلك لم يعتبر الرومان الدبلوماسية أداة مهمة في مهام الدولة والحفاظ على تفوقها،لقد استخدموها كوسيلة للتعامل مع المهام اليومية وقد يكون هذا هو السبب في أنها كانت أساليب إدارة الأعمال القانونية أو التجارية في المقام الأول بين مقاطعاتها،أما فيما يتعلق بإدارة علاقاتها الدولية فإن الرومان بالكاد اعتمدوا على الدبلوماسية. في الواقع روما القديمة هي واحدة من الدول القليلة الرائدة ذات مركز الهيمنة التي لم تستخدم الدبلوماسية في إنشاء أو الحفاظ على تفوقها،حيث كان النفوذ الأكثر أهمية الذي استخدمه الرومان في السياسة الخارجية هو القوة العسكرية وتفوقهم في الحرب،هذا ما لاحظه المؤرخ اليوناني القديم بوليبيوس الذي قال أن الرومان اعتمدوا على القوة في جميع مهامهم،ويعتبرون أنهم قد حددوا لأنفسهم مهمة لا بد لهم من تنفيذها. كان صعود روما في إيطاليا يرجع أساسًا إلى قوتها العسكرية وقدرتها على القتال ، بدلاً من الدبلوماسية،في هذا السياق قال فلافيوس فيجتيوس رياناتوس العالم العسكري في اللغة الرومانية القديمة في كتابه عن العلوم العسكرية أن أولئك الذين يسعون إلى السلام يجب أن يستعدوا للحرب،و هذا ما طبقه

من خلال تجدد القتال في البيلوبونيز،في عام 415 قبل الميلاد أرسلت أثينا قوة استكشافية ضخمة لمهاجمة سرقوسة في صقلية،فشل الهجوم بشكل كارثي مع تدمير القوة بأكملها عام 413 قبل الميلاد،كان هذا إيذانًا ببدء المرحلة الأخيرة من الحرب والتي يشار إليها عمومًا إما باسم حرب ديسيلين أو الحرب الأيونية،في هذه المرحلة دعمت إسبرطة التي تلقت دعمًا من الإمبراطورية الأخمينية،التمردات في الدول الخاضعة لأثينا في بحر إيجه وإيونيا،مما أدى إلى تقويض إمبراطورية أثينا وفي النهاية حرمان المدينة من التفوق البحري.أدى تدمير أسطول أثينا في معركة إيجوسبوتامي إلى إنهاء الحرب فعليًا واستسلمت أثينا في العام التالي طالب كورنث بتدمير أثينا واستعباد جميع مواطنيها لكن إسبرطة رفضت. لمزيد من التفاصيل يمكن الإطلاع على الكتاب:

-توسيويديس،**تاريخ الحرب البيلوبونيزية**.تر:دينا الملاح و عمرو الملاح، سنة النشر 2003.

الرومان خلال الحكم الاستبدادي للإمبراطورية الرومانية مع وجود جيش دائم ومحترف متمركز في مقاطعات مختلفة ، بالتالي الرومان كانوا قادرين على استخدام التهديد باستخدام القوة لغرض الدبلوماسية القسرية،فحسب هارولد نيكولسون سعلى الرومان إلى فرض إرادتهم بدلاً من التفاوض على أساس المعاملة بالمثل.

من المؤكد أن الطريقة التي استخدم بها الرومان الدبلوماسية تختلف باختلاف نظام الحكم خلال الجمهورية الرومانية،كان مجلس الشيوخ مسؤولاً عن الشؤون الخارجية حيث تشمل سلطة مجلس الشيوخ سلطة شن الحرب وكذلك إرسال واستقبال الممثلين الدبلوماسيين،كما قام المبعوثون أو legatus بإبلاغ مجلس الشيوخ عند عودتهم إذا تمت الموافقة على نتيجة الاتفاقات الدبلوماسية أو رفضها،كان هذا النوع من إجراءات التصديق ضروريًا لأن التعليمات التي قدمها السناتور إلى المبعوثين لم تكن مفصلة،بالتالي مُنحت درجة معينة من حرية الحركة وحرية التصرف للمبعوثين أنفسهم،على الرغم من الحرية الممنوحة للمبعوثين على عكس الممارسة اليونانية لاختيار الخطابة العامة على أساس قدرتها في الطب الشرعي،لم يأخذ مجلس الشيوخ في الاعتبار الخبرة ذات الصلة أو مؤهلات المبعوثين،كان هذا جزئيًا لأن مجلس الشيوخ غالبًا ما يختار أعضائه كمبعوث دبلوماسي،لذلك ظل الاتصال الدبلوماسي عملية غير متخصصة بدوام جزئي من قبل رجال لم يتلقوا تدريبًا ولم يثبتوا استعدادهم للدبلوماسية.

في الواقع لم يقدم الرومان الكثير لإنشاء هيئة خبراء من الدبلوماسيين المدربين،بالإضافة إلى الطبيعة الخاصة للدبلوماسية الرومانية كانت معظم الأنشطة الدبلوماسية استجابة لحالات طارئة نشأت تلقائيًا داخل المقاطعات أو خارجها،ومن ثم تم التعامل مع المشاكل من خلال التفاوض على الفور في كثير من الأحيان من قبل حكام المقاطعات أو القادة العسكريين،على الرغم من أن طاقمهم يفتقر إلى التدريب في الدبلوماسية،أصبح هذا أكثر شيوعًا خلال الإمبراطورية الرومانية عندما نشأت أزمة في الشرق حيث كانت الإمبراطورية الساسانية في بلاد فارس توسع نفوذها تراجعت أهمية الدبلوماسية أكثر بعد الإطاحة بالجمهورية واستبدالها بالإمبراطورية بعد فترة 50 عامًا من الحروب الأهلية،مع تحول الجمهورية الرومانية إلى الإمبراطورية الرومانية تحول مجلس الشيوخ أيضًا من السلطة الحاكمة الأولية بسلطة اتخاذ القرار إلى مجلس استشاري،بينما استمر أعضاء مجلس الشيوخ في التمتع بوضعهم المتميز حُرم مجلس الشيوخ من سلطته في صنع القرار الديكتاتوري وتهميشه إلى مجرد دور رمزي،بما أن الإمبراطورية الرومانية لم تضع الإجراءات البديلة للدبلوماسية،فإن عدم قدرة مجلس الشيوخ يعني أن الإمبراطورية الرومانية لم تكن مجهزة بأي مؤسسات مركزية لإدارة شؤونها الخارجية غير الإمبراطور نفسه.

مع ذلك يبدو أن الاختلاف بين نظامين الجمهورية والإمبراطورية لم يؤثر في عدم وجود تفاعل دبلوماسي خارجي،حيث لم تكن هناك مؤسسات معينة لتسيير السياسة الخارجية سواء في الجمهورية الرومانية أو الإمبراطورية الرومانية،حتى أثناء النظام الجمهوري كان الرومان ديكتاتوريين للغاية بحيث لا يقدرون المجاملات الدبلوماسية،وكان المبعوثون الدبلوماسيون من الخارج "يعاملون بدرجات متفاوتة من القهر مما

يعكس الثقة بالذات للحاكم الروماني المرتبطة بالتفوق العسكري،على سبيل المثال عندما وصل المبعوثون المقدونيون إلى روما عام 197 قبل الميلاد أُبلغوا فور وصولهم أنه ما لم تسفر المفاوضات عن اتفاق في غضون ستين يومًا،فسيتم اعتبارهم جواسيس ومحرومين من الوضع الدبلوماسي،من ناحية أخرى طور الرومان ممارسة تضمين شرط الرهائن في المعاهدات كأداة التزام،حيث طالب الرومان بتسليم الرهائن من القبائل والأمم المحتلة عند إبرام اتفاقيات الاستسلام،أم في حالة انتهاك الشروط يتم القبض على الرهائن على الفور ومعاملتهم كأسرى حرب،إلى جانب تراجع مجلس الشيوخ كان العامل الأساسي الذي ساهم في اعتماد الرومان المطلق على الجيش في إدارة السياسة الخارجية هو النهج الاستعماري،وفقًا لنيكلسون بمجرد أن حققت روما القديمة تفوقها كانت علاقاتها الخارجية مع الدول المجاورة تتم من وجهة نظر استعمارية وإدارية وليست دبلوماسية،حيث تم التعامل مع المعاملات الدبلوماسية من قبل السلطات العسكرية.

عكست هذه الأساليب اعتقاد الرومان بأنه من واجبهم فرض باكس رومانا(السلام الروماني) من خلال سحق المعارضة وتجنب أولئك الذين استسلموا لهيمنتهم،السبب المحتمل لتخلف الدبلوماسية هو الافتقار إلى الصلاحيات المتساوية و السبب المباشر لسقوط الإمبراطورية الرومانية مصدرًا كبيرًا للمصالح،والإجماع حول هذه المسألة هو أن الاعتماد الكبير على قدرتها العسكرية في إدارة علاقاتها الدولية قد ترك الإمبراطورية مرهقة،مما يقوض فعاليتها في الحكم،من المفارقات أن أحد الأسباب الرئيسية لفشل الدبلوماسية كان أيضًا القوة الدافعة الحاسمة وراء تراجع تفوقها وسقوطها في النهاية.

ورثت الإمبراطورية الرومانية الشرقية القدرة العسكرية المتدنية،ولم يكن بإمكانها الاعتماد على جيشها وبالتالي كان عليها الاعتماد على الدبلوماسية من أجل الحفاظ على وحدة أراضيها،بسبب جهودها المستمرة لتكملة جيشها الضعيف بالمشاركة في الدبلوماسية،قدمت الإمبراطورية الرومانية الشرقية مساهمة ملحوظة في تطوير الدبلوماسية تُعرف ممارساتها وخصائصها المؤسسية باسم "الدبلوماسية البيزنطية.

5-الدبلوماسية البيزنطية:العصور الوسطى

حدثت نقطة التحول التالية في تطور الدبلوماسية مع سقوط الإمبراطورية الرومانية،في حين أن الدبلوماسية البيزنطية معروفة بجوانبها الاحتفالية والسامية بالإضافة إلى سلوكها المتلاعب والمكر للسياسة الخارجية،فإن هذه السمات هي نتاج استجابة عقلانية لبيزنطة لوضعها الاستراتيجي غير المستقر،على وجه التحديد نظرًا لأن الإمبراطورية الرومانية الشرقية (أو البيزنطية) لم تكن قادرة على الاعتماد على القدرات العسكرية الهائلة كان على الإمبراطورية أن تلجأ إلى الدبلوماسية لتحقيق هدفين:

-الأول:هو الحفاظ على الأمن من خلال التخفيف من مخاطر الحرب مع القوى المجاورة.

-الثاني:هو الحفاظ على وضعها الإمبراطوري الموروث من الإمبراطورية الرومانية.

كان التحدي الأساسي للإمبراطورية البيزنطية هو الحفاظ على علاقات الوضع القائم بينها وبين مجموعة من البلدان المجاورة التي كانت تشكل خطر الغزو من جميع الجهات تقريبًا،ومع ذلك فإن المورد الوحيد الذي امتلكته الإمبراطورية البيزنطية هو الشرعية الموروثة من أواخر الإمبراطورية الرومانية.

-المناورة الدبلوماسية: من أجل تكملة نقص الجيش القوي ابتكرت بيزنطة عدة استراتيجيات في إدارة الدبلوماسية، تضمنت الاستراتيجية الرئيسية وراء هذه الجهود الدبلوماسية التي تبناها حكام بيزنطة:

-الرهبة والسامية بدلاً من الرعب أو الخوف

-الإطراء والرشوة

-الاستخبارات

تم تصميم هذه الاستراتيجيات بشكل عام للتلاعب ببيئة الأمن الدولي من خلال تعديل هياكل الحوافز للاعبين المعنيين ومن خلال الحصول على المعلومات ذات الصلة، أوضح مثال على الاستراتيجية الأولى للرهبة والسامية هو تحول الإمبراطورية إلى المسيحية، مما جعل الإمبراطور الروماني يضع اتحادا بين القوة الإلهية (الدينية)والسلطة العلمانية (السياسية)،مع هذا الترتيب أصبحت الإمبراطورية البيزنطية ليس فقط مركز العالم (بسبب وضعها المهيمن الموروث)ولكن أيضًا ممثل الله،نتيجة لذلك أُجبر جميع القادة السياسيين والحكام الآخرين على أن يكونوا أدنى مرتبة من الإمبراطورية،ويجب على أولئك الذين يهاجمون الإمبراطورية أن يتوقعوا غضب الله لأنها كانت أعلى من كل سلطة على وجه الأرض،والسلطة الوحيدة على وجه الأرض التي أسسها الإمبراطور للجميع،يمكن اعتبار هذا التكتيك شكلاً خاصًا من أشكال الردع،لقد استخدمت الهيكل الهرمي أو الرسمي المضمن في المسيحية لمنع الدول الأجنبية عن تحدي بيزنطة،ولتعزيز فعالية هذه الاستراتيجية وسع الحكام البيزنطيون ناخبيهم" بتحويل الوثنيين إلى الإيمان المسيحي،بينما كان لتكتيك التركيز أثر جانبي يتمثل في توفير الأساس الديني للطريقة الدبلوماسية ، فقد كان أساسًا جزءًا من الاستراتيجية الدبلوماسية الأكبر أي إغراق المبعوثين الزائرين بعروض براقة،من ثم كان الموضوع الرئيسي لإجراءات وممارسات الدبلوماسية البيزنطية هو إثارة إعجاب الزوار الأجانب من خلال إظهار المظهر المادي للتفوق المطلق والرفاهية والثروة،شمل ذلك الممارسة البيزنطية المتمثلة في حصر المبعوثين الأجانب في مهمتهم إلى القسطنطينية في الحصون حيث لم يتمكنوا من تعلم أي شيء سوى الإعجاب بعروض القوة العسكرية،تشمل الجوانب الأخرى لمحاولة الحكام البيزنطيين الحذرة للحفاظ على العلامات المادية لتفوقهم الفريد في العمارة الإمبراطورية الفخمة ،والوليمة الفاخرة والترفيه البهلواني.

في هذا السياق نشأ البروتوكول الاحتفالي الفاخر كمعيار للممارسة الدبلوماسية وأصبحت الدبلوماسية البيزنطية معروفة في المقام الأول بجوانبها السامية،تم نقل التأثير البيزنطي على الإجراءات الاحتفالية للدبلوماسية إلى البندقية وجنوة (اللتين كانتا حليفتين ودودين لبيزنطة بسبب علاقاتهما التجارية) ، والتي بدورها نشرت التقليد باسم "النظام الإيطالي" للدبلوماسية إلى بقية أوروبا،تم الاحتفاظ بسجل للبروتوكول

الدبلوماسي Libro Ceremoniale من قبل عصر النهضة البندقية والذي يوضح بالتفصيل الاحتفالات التي يتم إجراؤها لكل زيارة، كان هذا بمثابة دليل للمعاملة للضيوف في المستقبل.

تضمنت التكتيكات الدبلوماسية الثانية الإطراء والرشوة، حيث لعبت الرشوة والتملق دورًا حاسمًا في الجهود الدبلوماسية للإمبراطورية في تشكيل التحالف وموازنة القوة ، حيث سمحا للإمبراطورية البيزنطية بالتأثير بشكل مباشر على هيكل الحوافز للقبائل والأمم الحدودية،على وجه التحديد اشتمل هذا النوع من الإستراتيجية على شراء دعم القوى المجاورة،وإثارة التنافس بين الطغاة المتجاورين من خلال التلاعب بهم من أجل إضعافهم،و تتضمن الاستراتيجية كذلك أخذ الرهائن،حيث ورث البيزنطيون هذه الممارسة من استخدام الرومان للرهائن كأداة لإنفاذ المعاهدة. التكتيك الدبلوماسي الثالث كان الاستخبارات حيث كانت الاستراتيجيتان الأوليان لتعديل هيكل حوافز القوى المتنافسة ممكنة فقط إذا كان الأباطرة البيزنطيين على دراية كاملة بتفضيلات البلدان المجاورة المستهدفة ونياتها وقدراتها،أدى هذا إلى رفع مستوى جمع وتنظيم المعلومات إلى أهمية قصوى.

-**أهمية الاستخبارات**:بالنظر إلى النقص الخطير في القدرة العسكرية،لم يكن من المتوقع أن يلعب الدبلوماسيون دور الرسل أو الخطباء ؛ بالأحرى كانت مهمتهم الأساسية هي جمع المعلومات ذات الصلة والإبلاغ عنها حول الوضع السياسي للدول المجاورة بالإضافة إلى العلاقات الإستراتيجية وعلاقات القوة فيما بينها،أي أن الدبلوماسية البيزنطية عملت في المقام الأول على اكتساب وتقييم المعلومات الاستخباراتية،فمثلا في الشرق الأدنى القديم كان الدور الأساسي للدبلوماسيين هو نقل الرسائل بين القادة السياسيين أثناء قيامهم بإجراء مفاوضات دبلوماسية،وأن دبلوماسيي دول المدن اليونانية كانوا من المناظرين العامين الأساسيين،من ثم يجدر التأكيد على أن الدبلوماسية لم تطور وظيفتها المعلوماتية بشكل كامل حتى عهد الإمبراطورية البيزنطية بشكل نظامي إلى تخصيص أنشطة استخباراتية لدبلوماسييها،حيث لم يتم فصل الدور المعلوماتي للدبلوماسيين في هذه المرحلة من تطور الدبلوماسية تمامًا عن دور التجسس،نظرًا لأن المهمة الأساسية المتوقعة من الدبلوماسيين كانت اكتشاف أسرار الدول المجاورة،فقد أشار المنظر الدبلوماسي الفرنسي أبراهام دي ويكفور الذي شهد مؤتمر ويستفاليا أنه حتى العصر الحديث لعب السفير دور الدبلوماسي والجاسوس في نفس الوقت،تنعكس هذه الجوانب في الوكالة الحكومية للدبلوماسية البيزنطية سكرينيون باربارون (مكتب البرابرة) وهي وزارة مسؤولة عن الشؤون الخارجية،بينما أدار سكرينيون باربارون الشؤون الدبلوماسية والنشاط الاستخباري نظرًا لأن مهمته الأساسية استوعبت بشكل فعال مهمة وكالات الاستخبارات،فإنه يعتبر أول وكالة استخبارات في التاريخ،حيث يتم التأكيد على الدور المعلوماتي للدبلوماسية عبر التاريخ لأنه يساعد القادة السياسيين على تجنب نفقات الحروب غير المبررة.

كان جمع المعلومات الاستخبارية وتقييمها بشأن التفضيلات والنوايا والقدرات العسكرية للأعداء المحتملين من الأدوات الأساسية للدبلوماسية البيزنطية حيث أنقذت بيزنطة من تكلفة الحرب، فبالكاد

حققت الإمبراطورية البيزنطية انتصارًا عسكريًا في 150 عامًا الماضية قبل سقوط القسطنطينية عام 1453 حيث أصبحت تعاني بشكل متزايد من نقص في القدرات القتالية،كما قال المنظرون فالدبلوماسية عملت كوسيلة لتحديد ما إذا كانت القضية المطروحة حاسمة بما يكفي للقتال من أجلها،وكان هذا التوصيف للوظيفة المعلوماتية للدبلوماسية في بيزنطا ردا واضحا للإمبراطورية للتكيف مع التطورات الاستراتيجية الدبلوماسية في تلك المرحلة.

6-النظام الإيطالي:عصر النهضة

تعتبر فترة النهضة الإيطالية الفترة الأكثر توثيقًا في تطور الدبلوماسية،حيث بدأت أولى خطوات ما نعرفه اليوم بالدبلوماسية في التبلور،على وجه الخصوص تم استحداث أهم ابتكار في تطوير المؤسسة الدبلوماسية في الدولة–المدينة الإيطالية خلال هذه الفترة، أي أن ممارسة تبادل السفراء المقيمين ظهرت وانتشرت على نطاق واسع بين دولة –المدينة في شمال إيطاليا في النصف الأول من القرن الخامس عشر،وتم إضفاء الطابع المؤسسي على هذه الممارسة عبر شبه الجزيرة في النصف الثاني من القرن،يشير هارولد نيكولسون إلى نظام السفراء المقيمين هذا باسم النظام الإيطالي والذي انتشر لاحقًا في جميع أنحاء أوروبا على مدى القرون التالية.

البيئة الإستراتيجية ومعاهدة لودي:ظهر عصر النهضة في إيطاليا تقريبًا منذ القرن الرابع عشر،خلال نفس الفترة تقريبًا كانت إيطاليا مهددة باستمرار بالنزاع العسكري،حيث انخرطت دولة–المدينة الإيطالية في صراعات على السلطة من أجل السيطرة على شبه الجزيرة،بعد فترة طويلة من العداء والحرب المستمرة في مجتمع غير مستقر،انتهى بسقوط الإمبراطورية البيزنطية عام 1453 نتيجة للتهديدات الخارجية.

في حين أن سقوط الإمبراطورية البيزنطية يشير بقوة إلى الخطر الوشيك المتمثل في توسيع نفوذ الإمبراطورية العثمانية،كانت دولة–المدينة الإيطالية ضعيفة من حيث التجهيز للحرب ضد الأتراك.

لم يكن حجم وقدرة دولة–المدينة الإيطالية يضاهي تلك الموجودة في الإمبراطورية العثمانية،نظرًا لأن مصدر القوة والازدهار لمعظم دولة–المدينة كان مستمدًا من الأنشطة التجارية بدلاً من السلطة السياسية التقليدية،نتيجة الافتقار إلى الجيش الدائم وكان عليهم اللجوء إلى الدعم غير المستقر من المرتزقة.

كان النقص العسكري الصارخ الذي واجهه الجيش النظامي للإمبراطورية العثمانية هو بالضبط نفس التحدي الذي واجهته الإمبراطورية البيزنطية،بالتالي بالإضافة إلى المرتزقة سعوا إلى تكملة جيشهم الضعيف بالدبلوماسية. كما ساهمت السنوات الطويلة من التنافس المستمر والصراع على السلطة بين دولة–المدينة الإيطالية الشمالية خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر في تعرضها للتهديدات الخارجية،تعرضت إيطاليا أيضًا لمضايقات من فرنسا،حيث طور آل فالوا طموحاته الإقليمية تجاه إيطاليا بعد توحيد أراضي فرنسا بنجاح.

في ظل التهديدات التي يشكلها الأتراك والفرنسيون من الطبيعي أن تسعى دولة–المدينة الإيطالية بعد ذلك إلى نظام دفاع مشترك أو أمن جماعي كاستراتيجية لدرء التهديدات الخارجية،وبالتالي تحولت إلى جهود

دبلوماسية لإدارة تحالفاتها بعد عام من انهيار الإمبراطورية البيزنطية،توصلت خمس قوى عظمى في عصر النهضة في إيطاليا–بما في ذلك البندقية وميلانو والبابوية ونابولي وفلورنسا–إلى السلام وأبرمت معاهدة لودي عام 1454. هذه الرابطة الإيطالية اتفقت من خلال المعاهدة بشكل فعال على عدم الاعتداء والدفاع المتبادل بينهما،وبمبادرة من كوزيمو دي ميديتشي من فلورنسا وفرانشيسكو سفورزا من ميلانو،وضعت هذه المعاهدة حداً لفترة إعادة الاصطفاف المتقلب والحرب بين دولة–المدينة،بما في ذلك حروب لومباردي بين ميلانو والبندقية.

نشرت هذه المعاهدة أربعين عامًا من السلام في شبه الجزيرة الإيطالية،وشكلت توازنًا جديدًا ولكنه غير مستقر،دون أي قتال بين هذه القوى العظمى أو تغييرات إقليمية مهمة،أو تناوب كبير في المواقف النسبية فيما بينها. تم بناء هذا السلام على توازن القوى الدقيق الذي تم الحفاظ عليه من خلال التعديل المستمر للدبلوماسية حيث ازدهرت النهضة في ظل السلام والاستقرار اللذين أتاحتهما المعاهدة،في ظل توازن السلام هذا أنشأت دولة–المدينة الإيطالية نظام السفراء المقيمين للحفاظ على مبادئ عدم الاعتداء.

السفراء المقيمون كنظام اتصالات مستقر:كان هناك تحديين واجهتهما دولة–المدينة الإيطالية لإنشاء هذا النظام لتوازن القوى:

–**أولاً**:لأن دولة–المدينة الإيطالية كانت في فترة الحرب المطولة قبل صلح لودي،حيث يجب البدء بالتغلب على انعدام الثقة والمعضلة الأمنية التي أعاقت أي تعاون وتنسيق بينهم،سيخلق هناك حاجة إلى نوع من الترتيبات التي تضمن تحقيق ذلك.

–**ثانياً**:هذا التوازن غير المستقر للسلام بين الأعداء السابقين مرهون بتوازن القوى الدقيق بينهم،وبالتالي فإن دولة–المدينة تضع علاوة كبيرة على المعلومات الدقيقة ، أو ما يشير إليه ماتينجلي على أنه "يقظة دبلوماسية" في إطار النظرة الاستراتيجية المتغيرة،حيث بقاء وازدهار دولة–المدينة الإيطالية يتوقف على الحساب الذكي للمخاطر والسلوك الاستراتيجي حيث كان الحصول على معلومات دقيقة عن الأحداث السياسية الخارجية أمرًا بالغ الأهمية.

في ظل هذه الخلفية الاستراتيجية جاءت دولة–المدينة في عصر النهضة الإيطالية لتأسيس شبكة مستقرة وفعالة للاتصالات ونقل المعلومات،حيث كانت الآلية الدبلوماسية التي ابتكروها للقيام بهذه المهمة هي نظام السفراء المقيمين في السفارات الدائمة في دول المدن الأجنبية،فمن الطبيعي أنه تم إنشاء نظام السفارات المقيمة لتلبية الطلب على اتصالات مستقرة وفعالة لأن ممارسة إيفاد المبعوثين المقيمين أصبحت شائعة جدًا خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر،بعد فترة وجيزة من إبرام معاهدة لودي أرسل فرانشيسكو سفورزا أول سفير مقيم له في عام 1454 تلاه دولة– المدينة الإيطالية واحدة تلو الأخرى لتبادل المبعوثين المقيمين.

على مدار الأربعين عامًا التي تلت معاهدة لودي استخدمت الرابطة الإيطالية نظام الاتصالات المكون من شبكة السفراء المقيمين وحافظت بنجاح على "توازن القوى" بينهم. لذلك كان الدور الذي لعبه السفراء

المقيمون في عواصم الدول الأجنبية أساسيًا مثل الجيش الدائم في إدارة النظام الدولي لشمال إيطاليا،ومن خلال هذه العملية تم إنشاء السفير المقيم والسفارات الدائمة كعنصر أساسي في الآلية الدبلوماسية لأن هذا النوع من الآليات الدبلوماسية أسسته دولة–المدينة الإيطالية فقد أطلق عليه هارولد نيكولسون "النظام الإيطالي" للدبلوماسية.

كان نظام المبعوثين الدبلوماسيين في اليونان القديمة على أساس مخصص وأرسلوا للقيام بمهمة معينة تتعلق بقضية معينة، وبالمثل تم اختيار المبعوثين الدبلوماسيين الذين يحملون رسائل العمارنة في الشرق الأدنى القديم على أساس مؤقت حيث كان التبادل المتقطع للبعثات الدبلوماسية على أساس مخصص غير كافٍ بين القوى العظمى في عصر النهضة الإيطالية. بعد تكثيفه أصبح من الواضح أنه من العملي والأكثر كفاءة من حيث التكلفة تعيين سفير مقيم للبقاء في محكمة أجنبية يتردد عليها،نظرًا لأن الشؤون الخارجية للقوى العظمى أصبحت متداخلة بشكل متزايد في شبكة تحالفها مع تغيير التفضيلات وتغيير التوترات العسكرية فيما بينها جنبًا إلى جنب مع النظرة الأمنية المتغيرة أصبح سلوك الدبلوماسية العرضية على أساس متخصص أكثر صعوبة.

مع زيادة مدة السفارات أصبحت فرص جمع المعلومات القيمة أكبر بكثير،على الرغم من أن الحصول على المعلومات من قبل السفراء المقيمين كان عملية متطورة بشكل غير كامل،إلا أن أهميتها كانت كبيرة في غياب وسائل أكثر تقدمًا من الناحية التكنولوجية مثل الطائرات والاتصالات السلكية واللاسلكية وشبكات الإعلام حيث كانت البعثات المؤقتة قد أفسحت المجال للبعثات الدائمة.

تم تبني النظام الدبلوماسي الإيطالي تدريجياً في أجزاء أخرى من أوروبا،وبمرور الوقت شكل أساسًا للنظام الدبلوماسي الحديث،وتعتبر المفارقة هي أن أحد العوامل المحفزة الموثقة في انتشار هذه الآلية الدبلوماسية إلى شمال جبال الألب جاء عندما انهار سلام لودي حيث أُلقيت دولة–المدينة الإيطالية مرة أخرى في خطر الحرب من خلال غزو شارل الثامن ملك فرنسا عام 1494 .

عندما غزا شارل الثامن إيطاليا واجهها البابا ألكسندر السادس بتشكيل الرابطة المقدسة (أو اتحاد البندقية) بمساعدة الإمبراطور الروماني المقدس ماكس إيميليان الأول،فرديناند الأراغون (إسبانيا)وحلفائه الإيطاليين البندقية وميلانو الغزو اليث قاموا بصد الغزو الفرنسي.

كان تشكيل الرابطة المقدسة ناجحًا جزئيًا بسبب الأداء المتميز للسفراء المقيمين الإسبان الذين يمثلون فرديناند في مختلف المحاكم الأوروبية (بما في ذلك روما والبندقية ولندن وبروكسل وفيينا)أدرك الملوك الأوروبيون الذين أعجبوا بهذا النجاح فائدة السفراء المقيمين والسفارات الدائمة،ونشروا نظام الدبلوماسية الإيطالي في جميع أنحاء أوروبا في القرن السادس عشر.

مع بداية حرب الثلاثين عامًا في عام 1618 كان انتشار وتشكيل السفراء المقيمين والدبلوماسية الدائمة قد اكتمل إلى حد كبير،واحتفظت جميع القوى الأوروبية تقريبًا بممثلين دبلوماسيين دائمين مع جميع القوى الأخرى في مجال مصالحهم.

كان البيزنطيون أصل الممارسة الدبلوماسية في البندقية،حيث قامت البندقية بدورها بوضع نمط جديد لدولة–المدينة في إيطاليا،حيث استخدم البيزنطيون الذكاء في تلاعبهم الدبلوماسي،ثم أتقن الإيطاليون نظام الحصول على المعلومات السياسية ونقلها للتعامل مع النظرة الأمنية المتغيرة.

انتشر النظام الإيطالي في جميع أنحاء أوروبا في القرن السادس عشر وكما قال وايزمان أعطى السفراء المقيمون والسفارات الدائمة توقيعها للدبلوماسية الحديثة،حيث كان لحرب الثلاثين عامًا تأثير كارثي على الدبلوماسية الأوروبية لأن السفراء كانوا عرضة لنسيان أن مهمتهم كانت صنع السلام،وهو ما تصوره النظام الإيطالي،وبدلاً من ذلك انتهى الأمر بالعديد منهم إلى الانخراط في التجسس والتخريب.

المراجع المعتمدة في المحور الثاني:

-Costas Constantinou,Pauline Kerr and Paul Sharp,**The SAGE Handbook of Diplomacy**,London,2016.

-Alison Holmes and Simon Rofe,**Global diplomacy:Theories,Types,and Models.** Westview Press,2016.

-Thierry Balzacq,Frédéric Charillon and Frédéric Ramel,**Global Diplomacy:An Introduction to Theory and Practice**.Translated by William Snow,Palgrave Macmillan,2020.

-Yolanda Kemp Spies,**Global Diplomacy and International Society**.Palgrave Macmillan,2019.

-Shuhei Kurizaki, A Natural History of Diplomacy.in: https://www.yumpu.com/en/document/view/32841967/a-natural-history-of-diplomacy-tamuedu-texas-am-university

- diplomacy.in : https://www.britannica.com/topic/diplomacy